والتفريع في قوله (فإن كرهتموهن) على لازم الأمر الذي في قوله (وعاشروهن) وهو النهي عن سوء المعاشرة أي فإن وجد سبب سوء المعاشرة وهو الكراهية . وجملة (فعسى أن تكرهوا) نائبة مناب جواب الشرط وهب علة له فعلم الجواب منها . وتقديره : فتثبتوا ولا تعجلوا بالطلاق لأن قوله (فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل ا فيه خيرا) يفيد إمكان أن تكون المرأة المكروهة سبب خيرات فيقتضي أن لا يتعجل في الفراق .

و (عسى) هنا للمقاربة المجازية أو الترجي . و (أن تكرهوا) ساد مسد معموليها و (يجعل) معطوف على (تكرهوا) ومناط المقاربة والرجاء هو مجموع المعطوف والمعطوف عليه بدلالة القرينة على ذلك .

وهذه حكمة عظيمة إذ قد تكره النفوس ما في عاقبته خير فبعضه يمكن التوصل إلى معرفة ما فيه من الخير عند غوص الرأي . وبعضه قد علم ا أن فيه خيرا لكنه لم يظهر للناس . قال سهل بن حنيف حين مرجعه من صفين " اتهموا الرأي فلقد رأيتنا يوم أبي جندل ولو نستطيع أن نرد على رسول ا أمره لرددنا . وا ورسوله أعلم " . وقد قال تعالى في سورة البقرة (وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تجبوا شيئا وهو شر لكم) .

والمقصود من هذا : الإرشاد إلى إعماق النظر وتغلغل الرأي في عواقب الأشياء وعدم الاغترار بالبوارق الظاهرة . ولا يميل الشهوات إلى ما في الأفعال م ملائم حتى يسبره بمسبار الرأي فيتحقق سلامة حسن الظاهر من سوء خفايا الباطن .

آية في كما مقابلة دون كثير خير فيه لشيء الكراهية حصول مقاربة على هنا واقتصر A E البقرة (وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم) لأن المقام في سورة البقرة مقام بيان الحقيقة بطرفيها إذ المخاطبون فيها كرهوا القتال وأحبوا السلم فكان حالهم مقتضيا بيان أن القتال قد يكون هو الخير لما يحصل بعده من أمن دائم وخد شوكة العدو وأن السلم قد يكون شرا لما يحصل معها من استخفاف الأعداء بهم وطمعهم فيهم وذهاب عزهم المفضي إلى استعبادهم أما المقام في هذه السورة فهو لبيان حكم من حدث بينه وبين زوجه ما كره فيها ورام فراقها وليس له مع ذلك ميل إلى غيرها فكان حاله مقتضيا بيان ما في كثير من المكروهات من الخيرات ولا يناسب أن يبين له أن في بعض الأمور المحبوبة شرورا لكونه فتحا لباب التعلل لهم بما يأخذون من الطرف الذي يميل إليه هواهم . وأسند جعل الخير في المكروه هنا بقوله (ويجعل ا فيه خيرا كثيرا) المقتضي أنه جعل عارض لمكروه خاص وفي سورة البقرة قال (وهو خير لكم) لأن تلك بيان لما يقارن بعض الحقائق من الخلفاء في ذات

الحقيقة ليكون رجاء الخير من القتال مطردا في جميع الأحوال غي حاصل يجعل عارض بخلاف هذه الآية فإن الصبر على الزوجة المؤذية أو المكروهة إذا كان لأجل امتثال أمر ا بحسن معاشرتهن يكون جعل الخير في ذلك جزءا من ا على الامتثال .

(وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم إحداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا أتأخذونه بهتانا وإثما مبينا [20] وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض وأخذن منكم ميثاقا غليظا [21]) لا جرم أن الكراهية تعقبها إرادة استبدال المكروه بضده فلذلك عطف الشرط على الذي قبله استطرادا واستيفاء للأحكام .

فالمراد بالاستبدال طلاق المرأة السابقة وتزوج امرأة أخرى